مجلة جامعة بابل / العلوم الإنسانية/ المجلد 15/ العدد2 :2008

خمريات الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي

رأفت عدنان

المقدمة

طبيعي أن يؤثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي وهو تأثير يقوي ويضعف حسب تقنية الشعراء فمثلا ما أصاب الغزل بتأثير الإسلام من براءة وطهر وصفاء ونقاء عند شعراء نجد وبوادي الحجاز وعند فقراء المدينة ومكة مما هيأ لظهور الغزل العذري بل لشيوعه وكأنما أضفى الإسلام على المرأة وعلاقتها بالرجل عند هؤلاء الشعراء ضرباً من القدسية . أحاطها بهالة من الجلال والوقار . فالإسلام لم يؤثر بالغزل بل في المديح فكان في العصر الأموي الكثير من الجوانب لتصوير الفضيلة الدينية في الممدوح ووثق هذا التصوير في مديح الخلفاء والولاة وعلى نحو ما تأثر المديح تأثر الهجاء أذ أخذ الشعراء يهجون خصومهم بانحرافهم عن الدين.

وغيرها من الإغراض التي تأثرت بالإسلام.

أما السياسة فقد قام الإسلام على تقرير السيادة الإلهية وسيطرتها على أمور المسلمين الدينية والدنيوية سيطرة تنهض على مبادئ الحق والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبذلك فرض الإسلام على كل مسلم أن يشترك في الحياة العامة للجماعة ونشاطها السياسي فنجد في عصر بني أميه ظهرت عدة انقسامات في صفوف الأمة العربية وما جرت إلية بين أبنائها من تطاحن ومعارك دامية جعلتها تنتكس صورتين من الانتكاس: صورة سياسية إذ ظلت طوال هذا العصر مشغولة بفتن وحروب داخلية لو لم تشغل بها لفتحت أكثر العالم ولتغّير وجه التاريخ والصورة الثانية اجتماعية إذ أنقسم الشعب أحزاباً وصفوفاً تتحارب وتتناحر في سبيل الحكم ومطامعه .

أما أذا أخذنا تحليل عناصر الثقافة العربية في هذا العصر (العصر الأموي) وجدناها تعود إلى ثلاثة جداول مهمة : جدول جاهلي وجدول أسلامي وجدول أجنبي .

الجدول الجاهلي يبدو في الشعر والأيام ومعرفة الأنساب وتقاليد الجاهلية . أما الجدول الثاني (الإسلامي) فيبدو في القرآن الكريم وحديث الرسول (ص) وغزواته ثم في الفتوح الإسلامية وحروب وأحداث الخ . فقد أنقسم هذا الجدول إلى شعبتين الأولى شعبة تاريخية تعنى بتاريخ الإسلام وشعبة دينية تعنى بقراءات القرآن والحديث النبوي. هذان الجدولان الإسلامي والجاهلي أخذ ينشآن حولهما طبقة من المعلمين العارفين الذين كانوا يعلمون الناشئة. أما الجدول الثالث الأجنبي فجاء العرب من ملامستهم للأمم الأجنبية فقد اندفعوا يطلبون كل ما لدى هذه الأمم من معارف تطبيقية نافعة فتعرفوا على تخطيط المدن وعمارة المباني وطريقة استغلال الأرض وشق الترع الخ.ومعنى ذلك كله أن العقل العربي دعم في هذا العصر بمواد ثقافيه كثيرة .

بعد إن أكملت الفصل الأول بدأت بالفصل الثاني إلا وهو شعره الخمري وسجلت بعض إشعاره التي قالها في الخمر ولدى الوليد إشعار كبيره في ذكر الخمر وصفاتها قد أخذها الشعراء فادخلوها في إشعارهم سلخوا معانيها على قول الاصبهاني صاحب كتاب الأغاني ووجدت في شعره إغراضاً مختلفة منها المنسرح والرمل المجزوء والهرج ثم تحدثت عن تأثره بمن سبقه وجدت في هذا القسم إن هنالك أمرين كانا يثيران عبقرية الوليد وهذا موجود في الديوان إلا وهما ــ الحب والخمره ولقد أبدع الوليد بوصف الخمره والتغني

بها فكأنه هذّب وأكمل طريقة عدي بن زيد ألعبادي في وصف الخمر ونقلها للأجيال التالية . وبعد ذلك تحدثت عن منزلته الشعرية وجدت فيها عوامل التجدد كما فيها من حرية فكرية وآطراح للقديم وتقاليده . ثم الحديث عن مميزات شعره حيث كان يتخذ الشعر وسيلة عادية للتعبير عما يجد في لهوه وجدّه .

من ثم دور الوليد في تطور شعر الخمره فهو يعتبر حلقة وصل بين من سبقه أمثال عدي بن زيد ألعبادي وبين من جاء بعده أمثال أبي نؤاس وأن الوليد تأثر بهذا الفن . وأخيراً تحدثت عن خصائص شعر الخمره عند الوليد ومنها الساقي وآتية الشراب ولون الخمره وطعمها ورائحتها وأثرها في الشارب ومجالس الخمره وندمائها لنختتم به الفصل الثاني من هذا البحث .

التمهيد

تحدثتُ عن خمريات الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي لكي أوضح كيف قاد الشاعر الوليد الخلافة وماذا عمل أثناءها وكيف انتهت خلافته بعد الاطلاع على مصادر البحث الموجودة لدي بدأت بالمصادر القديمة أولا ومن ثم المصادر الحديثة ومن هذه المصادر هي الكامل في التاريخ لابن الأثير . والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي وكتاب الأغاني الذي أحتوى على معظم أخباره التي لم أجدها إلا في الديوان الذي حققه (ف . غابلريلى) بالإضافة إلى مسالك الأبصار في مهالك الأمصار لـ المعمري وتاريخ الشعر والشعراء محمد نجيب والمحاسن والمساوئ ومعجم البلدان وغيرها من المصادر القديمة بالإضافة إلى الخمريات لـ جميل سعيد وديوان أبو نؤاس وديوان الوليد وحديث الأربعاء ومروج الذهب للمسعودي الذي يضم بعض أخباره وآمالي المرتضى وأخيرا ديوان عدي بن زيد العبادي الذي تأثر به الوليد تأثيرا كبيراً . هذا وقسم هذا البحث إلى فصلين الفصل الأول يتحدث عن حياة الوليد بن يزيد وجدت حياة الوليد كانت مضطربة قلقة انتهت نهاية مؤلمة ورث عن أبيه حب الشراب والغناء الخ . تحدثت بعد ذلك عن توليه الخلافة ويبدو من تقارب الروايات الانتحال واضحاً لنضع هذا الفتى موضع ازدراء وإشارة بالبنان إليه وبأصابع الاتهام . وتحدث أيضا عن الدوافع النفسية في شعر الوليد واعتمدت على كتاب الأغاني وتاريخ الشعر والشعراء وحديث الأربعاء ج/2 والتطور والتجديد في الشعر الأموي والأصول الحضارية للشخصية ثم تحدثت في عدد من الصفحات عن اتهامه بالزندقة واستنتجت من خلال متابعتي لإخبار الوليد في المصادر الموجودة لدي مثلاً أمالي المرتضى ، الأغاني ، حديث الأربعاء ، التطور والتجديد ، العقد الفريد ، الخ . وحيث إن الوليد كان ميالاً إلى مؤدبة عبد الصمد بن عبد الأعلى المكنى بأبي وهب ولا يبعد إن يكون الرجل قد أفسد عليه دينه .

الفصـــــل الأول

حياة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي :

نستطيع أن نلم بحياة الوليد في سطور قبل التحدث عن شعره فقد ولد في حدود سنة 90هـ/ 709 م .

في قصر أبيه يزيد بن عبد الملك وقد أوصى يزيد بالخلافة من بعده إلى أخيه هشام ثم إلى أبن الوليد فلما توفي يزيد سنة 105 هـ / 723 م انتقلت الخلافة إلى عمه هشام الذي بقي خليفة لمدة عشرين سنة،وتوفي سنة 125 هـ / 743م في الرصافة وفي نفس اليوم أصبح الوليد خليفة .

على أن مدة خلافة الوليد لم تطل ، فقد قتل في السنة التالية 126هـ / 744 م وعمره ثمان وثلاثون سنة في قصر البخراء بالبادية الشامية شرقي حمص على أميال من تدمر ، بعد أن قضى في الخلافة سنة وثلاثة أشهر.

كانت حياة الوليد مضطربة قلقة وانتهت نهاية مؤلمة ورث عن أبيه الشراب والغناء ومال مذ حداثة سنه إلى اللهو والصيد وركوب الخيل ومعاشرة الظرفاء والأدباء وسماع الغناء وشرب الخمر ومغازلة الحسان ولم تفارقه ميوله هذه في أيام ولايته العهد ، وفي أيام خلافته فلما جاءته الخلافة كانت الأهواء السياسية والعصبية في بني أمية ، وفي القبائل العربية متنافرة عارمة ورغم انه بدأ خلافته بأعمال حسنة كالاهتمام بالمرضى والعميان وإعطاء كل واحد منهم خادماً

يرافقه وكزيادة العطاء لأهل الشام وغير ذلك فإن هذا كله لم يفده إمام حقد السياسة والتنافس على الخلافة واستحكام العصبيّة فشنّ خصومه الدعاية السيئة ضد ما كان يقوم به من شرب الخمر وقول الشعر والأستشهار ولم يفده شعرة وأدبه وفصاحتهُ وبراعتهُ في الخطابة شيئاً .

الواهب البزل بأرسانها

ليس بزنديقٍ ولا كافِـــــرِ

قال ألمدائني وبلغ خالداً ألقسري ما عزم علية هشام فقال أنا برئٌ من خليفة يكنى أبا شاكر فبلغتْ هشاماً عنه هذه فكان ذلك سبب إيقاعه به [1] .

يبدو من الروايات السابقة أن الوليد أُريد له الوقيعة بأي شكل من الإشكال على الرغم من تضارب الروايات . ولقد حاول عمه هشام حين رآهُ يسير هذه السيرة المعوجة أن يستصلحه فكان ينتهز فرصة زيارته له فينصحه، أو يوحى لمن في حضرته أن ينصحوه ولكنه كان لا ينتصح بل كان على مرّ الأيام يزداد إمعاناً في اللهو والمجون وكأنه وضع لنفسه مذهباً في حياته وهو مذهب اللذة الحسيّه ولم يكن يستطيع أن يفارق هذا المذهب أو يعدل عنه وذهبت نصائح عمه أدراج الرياح فحاول الإيقاع والتشهير به [2] .

إن هشاماً هيّأ للوليد أسباب المجون ودفعه إليها دفعاً ليتخذ من ذلك سلّماً يرتقي به إلى ما يريد حتى أذا عكف الوليد على لذاته وخموره فضمه الخليفة ــ عمّه هشام ــ وأهاج الناس عليه وطلب إليه أن يخلع نفسه بنفسه ويسير الوليد إلى الحج متمادياً بلهوه غير عالم بما يبيته له عمه من وراء هذا اللهو وبعد كل هذا أَيُظَنُّ أن هشاماً أنما خلع أبنَ أخيه لمجونه شربه وقد كان هو يشربها ، وكان أبنه مسلمه الذي أراد أن يقيمه مقام الوليد يشربها أيضاً المكنى بأبي شاكر . أترانا بعد ذلك نقول غير أن الخليفة هشاماً قد دفع بالوليد وكان غُراً لأن يشرب الخمر ويتهتك ولا يستتر [3] .

ولقد كان في أخلاق الوليد ما ساعدَ على رواج الإخبار التي كان أنصار هشام يذيعونها عنه [4].

إن الأبيات التي ذكرها صاحب الأغاني " يا أيها السائل عن ديننا .... الخ " الأولى يبدو فيها الانتحال واضحاً لتضارب الخبر فيها فهي أما للوليد أو قيلت على لسانه والوضع مشهود على ألسُن الرواة والسياسة كما فهمنا لعبت أدواراً مشينه في أظهار بعض الناس وخاصة الخلفاء والولاة بمظهر الفسق والفجور ونظراً لتطابق تلك الأبيات مع البيتين الآخرَيْن يبدو التغيير والتبديل واضحاً عليهما أنهما من نفس الوزن والقافية حيث أُبدل البيت الثاني في الحالة الأولى إلى [الواهب البزلَ بأرسانها ... الخ البيت] فقد نفي الذم عن أبي

---

[1] الأغاني ، 102/6 .

[2] التطور والتجديد ، ص320

[3] تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نؤاس ، الطبعة الأولى سنة 1945 م ، الناشر / مكتبة النهضة المصرية ص116-117 وسوف أُشير أليه في الإحالات القادمة بـ (تطور الخمريات) فقط

[4] تاريخ الشعر والشعراء حتى أخر القرن الثالث الهجري ، الطبعة الثالثة 1387هـ / 1967م بيروت ، ص301 وسوف أرمز له في الإحالات القادمة بـ (تاريخ الشعر والشعراء).

شاكر وأصبح ممدوحاً ذلك السكير وكأن الأمر هنا يختلف من الوليد إلى أبن عمه مما دعا هذا المولى إلى مدح مسلمه وابعد عنه الزندقة والكفر فألصقه بالوليد بفعل بريق الدراهم وجزيل العطاء .

يقول الدكتور طه حسين : " ولسنا نزعم أن الوليد لم يكن يشرب ، أنما نزعم إنه كان يشرب كغيره من الخلفاء ومن أبنائهم وكان الغرض السياسي قد أباح لهشام أن يذمه ويشفع عليه بما كان يأتي هو وبما كان يأتي أبناؤه [1] ".

الدوافع النفسية في شعر الخمر عند الوليد

كان الوليد مضطهداً أيام هشام ، فكان هذا الاضطهاد نفسه يضطره إلى اللهو واللعب لأمرين ، ليتسنى عن نفسه ما يناله به السلطان من المحن من جهة ، وليظهر نفسه مظهر الرجل الذي لا يريد أن يضعف ولا أن يستكين من جهة كان يشرب عناداً وكان يشرب طالباً للعزاء ومضى في الشراب عناداً وتعزّياً ، حتى شغف به شغفاً غير مألوف فأمكن من نفسه وصدّق بعد آراء الناس فيه . كان محروماً أيام عمه فجرى مع طبيعته، وأراد أن يستوفي حقه بعد الحرمان فتجاوز الحق . كان مقتراً عليه فقد قطع عنه هشام عطاءه وأرزاق أصحابه ومواليه ، وقد انفتحت له الآن خزائن الدولة فأسرف فيها ، مضيقاً عليه ، يختلس اللهو اختلاسا ويفر باللذة فراراً ، وقد أصبح الآن صاحب السلطان ، فأطلق لنفسه عنانها ، وأخذ من اللذة ما أستطاع وفوق ما أستطاع وأصبح الوليد مثالاً لكفر الأمويين وفجورهم ، وكذلك يكتب التاريخ فيظلم فيه ناسٌ من الحق إلا يظلموا [2] .

لعل أخفاقة قبل خلافته في الحق بل إخفاقه فيه حيث حصل عليه وأغتصبه منه الموت ــ وفاة أخت زوجته سلمى ــ كان ذلك باعثاً مهماً على إدمانه الخمر وفي كل موضع من سيرته نجد الحديث عن كثرة شربه وترجيح الغناء [3] . أليسَ هو القائل فيها :

دعوا لي سلمى والطلاء وقينه ... وكأساً أَلا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيشٌ برملَةَ عالجٌ ... وعانقتُ سلمى لا أريدُ بدالا
خذوا ملككم لا ثبّت الله ملكَكُم ... فليس يساوي ما حييتُ عقالا
وخلّوا عناني قَبْلَ عِيري وما جرى ... ولا تحسدوني أن أموتَ هزا لا [4]

لقد تركت الإخبار التي كانت يشيعها هشام وأنصاره وترك ذلك ظلاً كثيفاً على حياة الوليد الرقيق الشاعر فانتهى به الأمر إلى لون من اليأس كأنها دفع به إلى التهالك على اللهو هرباً من التفكير فيما يجد [5] . هذا وان دور الحاجات الجسدية والنفسية في السلوك البشري هو على وجه التعيين دور المسببات الأولية . فبدون الدوافع الذي يأتي فيها يظل المرء خامداً [6] .

توليّه الخلافَه

ذكر صاحب الأغاني قائلا : وقال عمر بن شبّة في خبره أنّه نفى له هشام قال والله لأ تلقينَّ هذه النعمة بسكرةٍ قبل الظهر ثم أنشأ يقول :

---

[1] حديث الأربعاء ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر 1243هـ - 1924م ، جـ2 ص141 وسوف أُشير أليه في الإحالات القادمة بـ (حديث الأربعاء) فقط .
[2] حديث الأربعاء جـ2 ص141-142
[3] التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص329
[4] الأغاني ، جـ6 / 139 . والكامل ، جـ5 / 216
[5] تاريخ الشعر والشعراء ، ط3 / ص301
[6] الأصول الحضارية للشخصية ، ترجمه الدكتور عبد الرحمن اللبان دار اليقضه ، بيروت ، 1964 م ص32

طاب يومي ولذّ شرب السلافَهْ
إذا أتانا نعيُ من بالرصافْة
وأتانا البريدُ ينعى هشامـــاً
وأتانا بخاتـــمٍ للخلافـــة
فاصطبحنا بخمر عانَةَ صرفاً
ولَهَونا بقَيْنَـــهٍ عزّافَـــهْ

ثم حلف أن لا يبرح موضعه حتى يغنّي في هذا الشعر ويشرب عليه فتغنّى له فيه وشرب وسكر ثـم دخل فبويع له بالخلافة قال وسمع صياحاً فسأله عنه فقيل له هذا من دار هشام يبكينه بناته فقال :

أني سمعتُ بليلٍ ورا المصلى رنّه
أذا بناتُ هشامٍ يندبن والدهنّـــه
يندبن قرماً جليلاً قد كان يعضد هنّه
أنا المخنّث حقاً إن لم .....

وقال المدائني في خبر أحمد بن الحرث وشرب الوليد يوماً فلما طابت نفسه تذكّر هشاماً فقـال لعمـر الوادي غنى:أني سمعتُ بليلٍ..الخ لأبيات فغناه فيه فشرب عليه ثلاثة أرطال [1] .

علماً أن المسعودي في مروج الذهب يذكر : ... وطرب الوليد لليلتين خَلَتا من ملكه وأرقّ فأنشأ يقول:

طال ليلي وبتُّ أسقى السُّلافه وأتاني نعيٌّ منْ بالرصافَهْ
وأتاني ببردةٍ وقضيـــــبٍ وأتاني بخاتم للخلافَـــهْ

وفي ذكر مجونه قوله عند وفاة هشام ، وقد أتاه البشير بذلك ، وسلّم عليه بالخلافة فقال :

أني سمعتُ خليلي نحو الرصافة رنّه
أقبلتُ أسحبُ ذيلي أقولُ : ما حالهنَّهْ [2] .
أذا بناتُ هشـــــام يندبنَ والدهنَّهْ
يدعون ويلاً وعولاً والويلُ حلّ بهنّهْ
أنا المخنثُ حقـــاً إن لم ..... [3]

فالأمر هنا أختلف من روايةٍ لأخرى ومن الجائز أن تكون هذه الأبيات مقولـةً علـى لسـان الوليـد فالمسعودي يذكر الأبيات وأنه قالها بعد يومين من خلافته والاصبهاني أخذ الرواية من الرواة بأنـه ــ أي الوليد ــ سمع خبر وفاة عمه هشام ثم يذكر أبيات الوليد في موضع أخر على رواية المدائني حين أتاه نعـي هشام :

طال ليلي فبتُ أُسقى المداما أذ أتانا البريد ينعى هشاماً
وأتاني بحلةٍ وقضيـــــبٍ وأتاني بخاتمٍ ثم قامـــا
فجعلتُ الولي من بعد فقدي يفضل الناس ناشئاً وغلاما
ذلك أبني وذاك قرمُ قريـشٍ خبرُ قرمٍ وخيرهم أعماما [1] .

---

[1] الأغاني . 6 / 108 - 109
[2] مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، بيروت ، الجزء الثالث ص213 وسوف أشير أليه في الإحالات القادمة بـ (مروج) فقط
[3] المصدر السابق 3 / 214

يبدو من تضارب الروايات المذكورة الانتحال واضحاً لتضع هذا الفتى موضع ازدراء وأشار بالبنان أليه وبأصابع الاتهام .. فنحن إذ أسلمنا بهذه الروايات وخاصةً الأبيات :

" طابَ يومي " أو" طال ليلي " فليسَ غريباً أن نرى الوليد هذا الشاب المراهق الذي ضيّق عليه عمّه الخناق والآن وقد مات فأطلق لقريحته قول الشعر فهو يشرب نخب الخلافة حيث دار الزمن وآلت أليه مقاليد الأمور .

أما الروايات بصدد قوله " إني سمعتُ خليلي " أو " بلَيْلي " فلا ندري إلى أين وصل التهتك في العائلة الحاكمة مما دعا الوليد للاعتداء على بنات عمه ؟ لقد وصل التفسخ في نهاية الدولة الأموية إلى عظمته وآذنت الخلافة الأموية بالزوال لتولية ولاة ضعاف أمثال الوليد أنه الآن يتربع على العرش وقد أقسم على نفسه أن يهتك ستر بنات عمه ويظهر الانحلال الخلقي في أروقة الخلافة ، لقد وصل المجتمع العربي آنذاك إلى هذا الحد من التحلل فماذا لقي الناس من الخليفة الجديد وما عساه أن يفعل ؟!

لَهْوُهُ وخلاعتُهُ

كان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان أليه وجالس الملهين وأظهر الشراب والملاهي والعزف وفي أيامه كان بن سريح المغنى وأظهر والغريض ، وابن عائشْه وأبن محرز ، وطويس ، ودحمان ، وغلبت عليه شهوة الغناء في أيامه وعلى الخالص والعام واتخذ القيان وكان متهماً ماجناً خليعاً [2] . ويذكر صاحب الأغاني بقوله : " وأخبرني " أحمد قال حدّثني عمر بن شبّه قال روبى جرير بن خازم عن الفضل بن زويد قال : بعث الوليد بن يزيد إلى جماعه من أهله لمّا وليّ الخلافة فقال : أتدرون لِمَ دعوتكم قالوا : لا قال فَلْيَقُلْ قائلكم فقال رجل منهم أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته وإحسانه وقال نعم ولكني :

أشهدُ الله والملائكة الإبـــــ رارَ والعابدين أهلَ الصلاحِ
إنني أشتهي السماع وشرب الـ كاس والعض للخدود الملاحِ
والنديمَ الكريم والخادم الفا رة لا يسعى عليّ بالأقداحِ

قوموا أذا شئتم [3] .

أَفَنَعْقلُ هذا الخبر الذي تناقله الرواة ، كيف يدعو الوليدُ أهله ويتلو عليهم شعراً كهذا وبما أننا نعرف أن صاحب الأغاني يورد الخبر على علاقة دون تمحيص أو إخضاع النص إلى الشك واليقين ولم نرَ رأيه فيه، فأننا أن أسلمنا برواية هذه الأبيات إلا إننا نشك بأن هذه الأبيات قيلت في هذا المكان فقد قالها الوليد ساعة سكره ولهوه وعبثه أوقد سأله أحد ندمائه عمّا يحب أو يشتهي فأجابه قائلاً تلك الأبيات الأنفة لان تلك الأبيات لم أجدها في غير " الأغاني " والديوان فقط فليس غريباً أن تكون الأبيات رتّبت على شكل " تلك " الحادثة وأُرسلت منحولةٌ معها والرواة بحذقهم يعرفون كيف يرتبون الأقاويل لاسيما وأن الرجل يصلح لان يُفتعلُ عليه أو يقال
على لسانه .

---

[1] المصدر نفسه 3 / 110 . وديوان الوليد بن يزيد الأموي ، جمعه وحققه ف . غابر يلي جامعه روما ، طبعة دار الكتاب الجديد ، بيروت 1967 . الطبعة الثالثة ، ص65 -66 وسوف أشير أليه في الإحالات القادمة بـ (الديوان) .
[2] مروج ، 3 / 213
[3] الأغاني ، 6 / 111 - 112 ، الديوان ص29

ويقول صاحب الأغاني أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بن مهرويه قال حدثني عبيد الله بن عمار قال حدثني عبيد الله بن أحمد بن الحرث القرشي قال خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الأمام يوماً إلى بعض الديارات فنزل فيه وهو وال على الرملة فسأل صاحب الدير هل نزل بك أحد من بني أميه قال نعم نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك قال فأي شيء صنعا قال شربا في ذلك الموضع ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما ثم قال أحدهما لصاحبه هل نشرب بهذا الجرن وأومأ إلى جرن عظيم من رخام قال افعل فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثملا فقال عبد الوهاب لمولى له أسود هاتهِ ، قال خمره : وقد رأيته وكان يوصف بالشدّة فذهب يحركه فلم يقدر فقال الراهب والله لقد رأيتهما يتعاطيانه وكل واحد منهما يملأه لصاحبه فيرفعه ويشربه غير مكترث [1] .

وكذلك يذكر صاحب كتاب مسالك الإبصار حكاية " مَرْعَبْدا " في ورود الوليد واثنان من رفاقه إلى دير " يونّا " أو " بونّا " [2] وقوله :

حبّذا لَيْلَتي بَديـْرِ يـــونّا ... حيثُ نُسقى شَرابنا ونُغَنّى
كيف ما دارتِ الزجاجةُ دُرنا ... يحسبُ الجاهلون أنّ جُننّا
ومررنا بنسوةٍ عطـــراتٍ ... وغناءٍ وقهـوةٍ فنزلنـــا
وجعلنا خليفة الله فطـرو ... س مُجونا والمستشار يُحنـّا
فأخذنا قُربانَهمُ ثم كُفـــّرنا ... لِصلْبَانِ دَيْرهم فكفرنـــا
واشتهرنا للناس حين يقولونَ ... أذا خُبّروا بما قـد فعلنـــا [3] .

ولعل زيارة هذين الديرين وغيرهما من الاديرة كان لها بعض الانطباعات في نفس الوليد فهو يمجن وهو يفكر في حقيقة الأديان [4] . ويذكر صاحب الأغاني قال : أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحرث الخراز عن المدائني قال لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد وحمل المغنين من المدينة وغيرها أليه وأرسله إلى أشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب وقال له أرقص وغني لي شعر يعجبني [5] ..إلى نهاية الرواية .

لقد تعصب الرواة لعادتهم على هذا الخليفة والشاعر المراهق وأغرقوا أخباره بالذم والفجور واللهو متناسين العصر الذي جاء فيه والحياة السياسية والاجتماعية و الاقتصادية.

أنذال وما لها من الأثر البالغ في خلق مثل هذا الشاب الذي ولي الخلافة وهو لّما يزل يافعاً ولكن هناك من أنصفه وكان حكمه عادلاً فقد أورد صاحب العقد الفريد خبراً مفاده : " أن أبا الحسن المدائني قال : كان الوليد صاحب لهو وصيد وشراب ولذّات فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي يراه الناسُ فيها [6] " .

ومن هذا نفهم أن الوليد قبل توليه الخلافة كان طائشاً ماجناً يتظاهر بمجونه ولهوه حتى أذا آل الأمر أليه وأصبح له دور متميز بين الناس رأى انه يلتزم بالأخلاق الحسنه ويرفض رؤية الناس له فهو يريد الشرب بالخفاء ولا يجهر به .

---

[1] الأغاني ، 6 / 112

[2] مسالك الإبصار في مسالك الأمصار، طبعة دار الكتب تحقيق أحمد زكي باش 1342- 1924 جـ1 ص321 وسوف أشير أليه في الإحالات القادمة بـ (مسالك) فقط .

[3] معجم البلدان ، الجزء الثاني ص649 ، والديوان ص69

[4] التطور والتجديد ،ص331

[5] الأغاني ، 6 / 123 - 124

[6] العقد الفريد ، شرحه وضبطه وصححه وعنوان موضوعاته ورتب فهارسه (أحمد أمين ، إبراهيم الأبياري عبد السلام هارون) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1368 - 1949م المجلد السادس ، الجزء الرابع ، ص461 - 462 وسوف أشير أليه في الإحالات القادمة بـ (العقد الفريد) فقط .

وإذا أردنا أن نحكم على الوليد حكماً قريباً من الصدق كان من الحق أن نقول : أنه كان رجلاً مستمتعاً بلذاته مسرفاً في هذا الاستمتاع ، ولكنه لم يبلغ من ذلك ما يقول خصومه ولعلّه لم يصل إلى هذا الإسراف في الإثم ، إلا أن خصومه اضطروه إلى ذلك اضطرارا ، أما باضطهادهم إياه وأما بتشنيعهم عليه ، وتحديهم له [1] . ويذهب هذا المذهب الدكتور جميل سعيد في كتابه تطور الخمريات قائلاً : وأما الوليد بن يزيد فلا أُريد أن أفيض في أخباره وأكتفي أن أقول أن أخلاقه كأخلاق غيره من شعراء الخمر الذين تحدثت عنهم : ضعف في العقيدة الدينية ، وفسوق وعدم اكتراث للرأي العام والأخلاق العامة وقد ملئت كتب الأدب عن مجونه وفسوقه، وربما كانت السياسة سبباً في تزيّد بعض أخباره فلقد أراد عمه هشام أن يخلعه فشنّع عليه ليسقطه في أعين الناس ثم قتله يزيد بن الوليد فشنّع عليه وأضاف ليبرر قتله أمام الناس ثم جاء بنو العباس وهم أعداء بني أميه عامه ، وكذلك الشيعة فأضافوا ما استطاعوا أليه ليحطّوا من شأنه ومن شأن بني أميه عامةً ، ولكننا على كل حال لا ننكر أن الرجل كان متخلقاً بأخلاق أهل الخمر وكل الذي نقوله أن أخباره هذه متزيّدٌ فيها [2] .

ومن لهوه أيضا يذكر المسعودي وأبن عبد ربه ويتفق معهم صاحب الأغاني .

حيث روى الأخير قائلاً: (نسختُ من كتاب الحسين بن فهم) قال : أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن وأقد الدمشقي قال بعث الوليد بن يزيد إلى شراعه عن الزندبوذ فلما قدم عليه قال يا شراعه أني لم أستحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ولا تحدثني ولا لتقرئني القرآن قال لو سألتني عن هذا لوجتني فيه حماراً قال فكيف علمك في الفتوه قال أبن بجدتها وعلى الخبير بها سقطت فَسَلْ عما شئت قال فكيف علمك بالا شربة قال ليسألني أمير المؤمنين عّما أحب قال ما قولك في الماء قال هو الحياة ويشركني فيه الحمار قال فاللبن قال ما رأيته قط الاّ ذكرتُ أمي فاستحييتُ قال فالخمر قال تلك السارّة البارّة وشراب أهل الجنة قال لله درّك فأي شيء أحسن ما يشرب عليه قال عجبتُ لمن قدر أن يشرب على وجه السماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئاً [3] .

فنحنُ نرى في هذه الرواية التي تناقلها الرواة روح الفكاهة والعبث باديةً بين طياتها ويراد منها الدعابة والسَمَر ولو أراد الخليفة الشاب الوليد الجدَّ بها لسأل شراعةَ بادىء ذي بدء عن الخمر حتى يعرف رأيَهُ فيه فأراد ان يستدرجه شيئاً فشيئاً ولا سيما في قصر الخلافة المملوء بالقيان ورؤساء القوم بين يدي الخليفة وهذا الليل الطويل في ذلك العصر الملىء باللهو فليس غريباً أو من باب المجون أن يلاطف الخليفة سميرةُ شراعه ؟!

والوليدُ يُدعى خليعُ بني مروان [4] . وقد كان خمل إليه جفنه من البلور وقيل من الحجر المعروف بالشيب وقد ذهب جماعه من الفلاسفة إلى أن من شرب فيه الخمر لا يسكر فأمر الوليد فملئت خمراً وطلع القمر وهو يشرب وندماؤه معه ، فقال : أين القمر الليلة ؟ فقال بعضهُم : في البرج الفلاني فقال لهو آخر منهم : بل هو في ألجفنه ، وقد كان القمر تبين في شعاع الجوهر وصورته في ذلك الشراب فقال له الوليد : والله ما تعديت ما في نفسي ، وطرب طربا شديداً ، وقال لاصطبحن سبعه أسابيع .

---

[1] حديث الأربعاء ، 2 / 143

[2] تطور الخمريات ص165

[3] الأغاني 6/ 124 – 125 ، والعقد الفريد ، 6/ 336 ، ومروج ، 3/ 214 يقول : إني ما بعثتُ إليك لأسألك عن كتاب ولا سُنّه ، قال ولستُ من أهلها قال إنما أسألك عن القهوة ، قال : سل عن أي ذلك شئت يا أمير المؤمنين قال ما تقول في الشراب قال .... يشاركني فيه البغلُ والحمار ، قال : فنبيذ الزبيب ؟ قال فما فمارد أذى ، قال : فنبيذ التمر ؟ قال : خراطٌ كلّه ، قال فالخمر ؟ قال : شقيقة روحي ، وأليفة نفسي .

[4] مروج ، 3 / 216 ، والأغاني ، 6/ 130

فدخل عليه بعض مجابه فقال : يا أمير المؤمنين أن بالباب جمعاً من وفود العرب وغيرهم من قريش والخلافة تجل عن هذه المنزلة ، وتبعد عن هذه الحال ، فقال : اسقوه فأبى ، فوضع في فمه قمع وجعلوا يسقونه حتى خرَّ ما يعقلُ سكراً [1] . وعلى هذا فان المسعودي رحمة الله أورد هذا الخبر بلا تعليق عليه أو إبداء رأى فيه ، وفي رأينا إن الوليد حينما اضطر هذا الرجل وسقاه بالقمع إنما فعل ذلك لأنه تحدّاه وخالف كلامه وهذا وارد عند شاربي الخمر من الناس العاديين حين يجالسهم أحد ويقدمون بعض الشراب له ويأبى ذلك فيضطروه إلى الشرب اضطرارا وهذا استفزاز لهم ، والاّ فما الغاية من وجوده بينهم ؟! وهم في حاله سُكرٍ وعربدة ، هذا يحدث بين الشاربين العاديين ، فكيف يكون الأمر أمامَ الخليفة .. وأي خليفة .. انه الوليد بن يزيد ، المراهق والذي تفتحت له خزائن دولة بني آميه وزها الدهرُ له وأقبلت عليه الأقداح تسقيه بها الملاح ليل نهار .

ومن حديث سعيد بن عمرو بن جعده بن هبيرة المخزومي عند حضوره ليلةً عند الوليد بن يزيد قال : " حضرتُ الجمعة ونحن مع الوليد بن يزيد فمضينا نريد الجمعة فإذا سرادقٌ ضُمّت إليه سُرادقات ، ومُدَّت الحجرُ في جنبتيه ، وَوُضعَ المنبرُ وأخذ الناس يتطوعون وينَظرون الفريضة فلماّ زالت الشمس أذّنَ المؤذن فآذنَ بالصلاة ، فإذا أصواتُ الملاهي والمعازف والمزامير مقبلة من مَضْرَبِهِ نحونا فما راعنا إلاّ به على هذا الذي يسموّنه اللعّابون " الداربازي " عليه غلالةٌ وأزارٌ مصبوغان بالزعفران ، لا يواريان عورته متّشحٌ بازار وهو متخلّق في فمه مزمار حتى أشرف علينا وهو يقول " طوط ، طوط " وحكاه الشيخ برعشته فضحك أبو العباس " الوليد " حتى استلقى على فراشه وضرب مرفقيه برجله [2] " .

من هذا الحديث نتبين أن هم الوليد لم يكن الصلاة ــ أن كانت الرواية صحيحة ــ أمام الناس وإنما التهكّم على هؤلاء الذين يسجدون لله في ظل هذا الخليفة الذي ابتلتهم به طريقة الحكم الوراثية وفرضت عليهم سياسة بني آميه هذا المراهق السكّير الذي يعبث في مقدرات عامة المسلمين وبقيمتهم ويكونوا سادةً على الناس الذين لا حول لهم ولا قوّة أمام هذا الخليفة الذي يقول لساقيه [3] :

إسقني يا يزيدُ بالقرقاره قد طربنا وحنّتِ الزمّاره
إسقني إسقني فأنَّ ذنوبي قد أطاحت فما لها كفّاره [4] .

اتهامــهُ بالزندقة

يقول الشريف المرتضى في أماليه : " أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدّثني محمد بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبني فوق البيت الحرام قبّة يشرب عليها الخمور ، ويشرف على الطواف ، فقال بعض ألحجبه : لقد رأيتُ المجوسيَّ البناء فوق الكعبة وهو يقدر مواضع أركان القبة فلم تمسِ ــ وفي رواية ــ ولم تمضي تلك الليلة حتى وافى الخبر بمقتل الوليد [5] " . ومن خلال هذه الرواية يتوجه الشريف المرتضى بحكمه على الوليد قائلاً : " أما الوليد فكان مشهوراً بالإلحاد متظاهراً بالعناد غير محتشم في أطّراح الدين أحداً ، ولا مراقبٌ فيه بشراً [6] ". ويستطرد

---

[1] مروج ، 3/ 217

[2] المحاسن والمساوئ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، الفجاله ، القاهرة ، (لم أجد سنة الطبع والتأليف) جـ2 ، ص239 وسوف أشير أليه في الإحالات القادمة بـ (المحاسن والمساوئ) فقط.

[3] مروج ، 3 / 215 . والديوان ص40

[4] مروج ، 3 / 215 . والديوان ، ص40

[5] (أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، 1387هـ - 1967م الجزء الأول ، ص128-129 وسوف أشير إلية في الإحالات القادمة بـ (أمالي المرتضى) فقط.

[6] الصدر السابق ص128

المرتضى قائلاً وفي الحديث أنه وُلِدَ لأخي أم مسلمه زوج النبي (ص) غلام فسموّه الوليد فقال النبي (ص): " سميتموه بأسماء فراعنتكم ! ليكونن في هذه الأمة رجلٌ يقال له الوليد لهو شرٌ على هذه الأمة من فرعون على قومه". قال الاوزاعي فسألتُ الزُهري عنه فقال : أن أستُخْلِفَ الوليد بن يزيد ، والاّ هو الوليد بن عبد الملك [1] . ويورد المرتضى أيضاً خبراً عن أبي عبيد الله المرزباني عن عبد الله بن يحيى العسكري قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما وليّ : نشدتُ الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد الاّ أخبر به ! فقام ثور بن يزيد فقال : أشهدُ لسمعتُهُ وهو يقول :

أسفياني وأبن حرب واسترانا بازار
واتركا مَنْ طلب الجنّةَ يسعى في خسارِ
سأسوسُ الناس حتى يركبوا دين الحمارِ [2]

على أنَّ هذه الأبيات لم أجدها على الترتيب المار الذكر في كتاب الأغاني غير أني وجدتها ضمن أبيات يذكرها صاحب الأغاني من أن الحسن أبن علي " أخبرهُ " عن أحمد بن الحرث عن المدائني قال : قال حمّاد الراوية استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي .... فأنشده حماد شعر عدي بن زيد :

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت قينةٌ في يمينها أبريقُ

إلى نهاية الأبيات ، كل ذلك عن الهشامي قال : فإذا جاريةٌ قد أخرجت كفاً لطيفةً من تحت الستر في يدها قدح والله ما أدري أيهما أحسن ألكفُّ أم القدح فقال ردّيه فما أنصفناهُ تغدّينا ولم نغده فأتيتُ بالغداء وحضر أبو كامل مولاه فغناه :

أدرِ الكأسَ يميناً لا تدرْها ليسارِ
أسق هذا ثمَّ هذا صاحب العود النضارِ
من كميتٍ عتّقوها منذُ دهرٍ في جرارِ
ختموها بالافاويه وكافورٍ وقارِ
فلقَدْ أيقنتُ أنّي غير مبعوثٍ لنارِ
سأروضُ الناسَ حتى يركبوا أَيْرَ الحمارِ
وذروا من يطلب الجنَّةَ يسعى لتبارِ

فطرب وبرز ألينا وعليه غلاله موردة وشرب حتى سكر فأقمتُ عنده مدة ثم أذن لي بالانصراف [3] .

لذا فأن النحلة باديةٌ عليها لاسيما وأن الأصبهاني ذكرها على هذه الصورة وكذلك الديوان ثم أن الرواية حماد معروفٌ بالكذب وقد شوّه أشعاراً وقال على لسان الكثير من الشعراء فقد فعل ذلك كما فعل بالآخرين !؟ أما بالنسبة لحديث النبي (ص) فلا نريد أن نشك بالأحاديث النبوية الشريفة ولكن المعروف أيضاً أن بعض الأحاديث موضوعة على لسان الرسول (ص) فمن الجائز أن هذا الحديث موضوع أيضاً ، والوليد يصلح لأن تلصق به السيئات!؟ ورغم كل هذا فأن الاصبهاني غير متأكد حول بعض الروايات التي تقال حول الوليد

حيث يقول :" وكان الوليد بن يزيد من فتيان بنى آميه وظرفائهم وشعرائهم واجو ادهم واشدّائهم وكان فاسقاً خلقياً منهما في دينه مرمياً بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل وله إشعار كثيرة

---

[1] المصدر نفسه ص128
[2] المصدر نفسه ، ص129
[3] الأغاني ، 6 / 123 ، الديوان ، نفس الأبيات ص 41 - 42

تدل على خبثه وكفره ومن الناس ينفي ذلك عنه وينكره ويقول إنه نُحله والصق إليه والأغلب الأشهر غير ذلك [1] ".

من هنا كثر القصص عن الوليد ، وكثرت المبالغة فيه وفي فسقه وخروجه عن الدين حتى اتهموه بالكفر والمانويه وللرواة في ذلك أقاصيص يتضح فيها الانتحال [2]. وقد ظهرت اصطلاحات (مانويه) في شعره عندما وصف الخمر [3] . ويغلب حب الخمر على العاطفة فيقول الشاعر إنه يشربها وهو كافر بالبعث والنار والجنة ، ونرى هذه المسحة تظهر لأول مره في شعر الوليد بن يزيد إذ يقول :" ادر الكأس يميناً .... إلى نهاية البيت ... وذروا من يطلب الجنة لتبار " وكان عمه هشام يشيع بين حاشيته إنه مضطرب العقيدة ويروى إن مؤدبَهُ عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني كان منهماً في دينه ، وكان الوليد ميالاً أليه متعلقاً به وقد نرى هذا بادياً في شعر الوليد حين باعد هشام بينه وبين مؤدبه هذا وهو المكنى بأبي وهب ، أذ يقول

لقد قذفوا أبا وهبٍ بأمرٍ كبير يلِ يزيد على الكبيرِ
فأشهدُ إنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهمُ خبيـــرِ

وهذه اللهجة الصادقة ترينا أن الوليد كان شديد الميل لأبي وهب ولا يبعدان يكون الرجل قد أفسد عليه دينه ، إن صَدَقَ الناس فيما يتحدثون عنه . وفي شعر الخمر الأموي نرى التعبير واضحاً عن هذا الشعور الذي يضطرب في أنفس شعراء الخمر فهم لم يعودوا كالشعراء الجاهليين يكتفون بوصف ما تبصره العين ولكنهم يصرون عن هذه الأحاسيس المضطربة في نفوسهم [4] .

ويذكر جميل سعيد في باب " انهماك الخلفاء بالخمر " قائلاً : وأما الوليد بن يزيد فقد لجّ بالشراب حتى أنكر الناس وبنوا أميه عليه واتخذوه وسيلةً وحجةً لقتله وشاعوا عنه أنه أنفذ إلى مكة بناءً مجوسياً ليبني على الكعبة مشربه وأنه صنع بركه من الخمر في قصره [5] .ويعلق الدكتور شوقي ضيف حول زيارة الوليد لدير " بونا " و " مر عبدا " قائلاً [6] . ولعلَّ زيارة هذين الديرين وغيرهما من الأديرة كان لها بعض الانطباعات في نفس الوليد ، فهو يمجن وهو يفكر في حقيقة الأديان . وليس هذا فحسب فانَّ معلمه عبد الصمد أتهم بالزندقة ونحنُ لا نريد أن نتهمه لا هو و لا معلمه بهذه الزندقة ، كما أتهمهما القدماء ، أنما نريد أن ندل على ما أصاب العقل العربي من انطباعات شك ، بسبب اختلاط الأجناس وامتزاج الحضارات واقتباس العرب من الثقافات ، وكانت دمشق تتأثر بالثقافة اليونانية عن طريق ما كان يذيعه المسيحيون من أمثال " يوحنّا " الدمشقي كل ذلك يترك بعض الظل في نفس الوليد فيظهر في شعره شيء من الدعابة التي لا يراد بها إلى الإلحاد كما ظنَّ القدماء وإنما يراد بها إلى العبث من مثل قوله : أدر ألكاس يميناً .. الخ ويقول الدكتور ضيف : ونحن نظلم الوليد أذا صنعنا كما صنعه القدماء واتخذنا مثل هذه الخمرية دليلاً قاطعاً على ألحاده لسبب بسيط ، وهو أن هذا شعر ماجن قاله سكّير يتعابث ، ومن غير شك هو ظلّ للحياة العقلية وما أصابها من تطور تحت تأثير الأفكار الجديدة . ولكنه في الوقت نفسه ظلٌّ يأتي هنا على سبيل الدعابة في مجال الشرب والخمر ومعنى ذلك أننا لا نقول بما قاله معاصروه من أنه لم يكن يؤمن بيوم الحساب أو ما قالوه من أنه لم يكن يرى من شرائع الإسلام شيئاً ، فهذا شعرٌ يراد به إلى العبث . وهو يعطي شيئاً من نزعة الشك في العقل

---

[1] الأغاني ، 6 / 101
[2] التطور والتجديد ، ص
[3] حديث الأربعاء ، 2 / 147
[4] تطور الخمريات ، ص171 - 172
[5] المصدر نفسه ، ص124 - 125
[6] التطور والتجديد ، ص331

العربي ولكنه لا ينتهي بصاحبه إلى إنكار يوم الحساب وشريعة الإسلام أنما هو صدى التحول في العقلية العربية وما أصابها تحت تأثير البحث في العقائد والآراء . أما بعد ذلك فقد كان الوليد متديناً وربما كان مما يدل على ذلك ما يرويه الرواة من أن ابناً له مات كان يسمى " مؤمناً " فلم يستطع أن ينعاه أليه حتى ثمل فنعاه أليه " سنان الكاتب " : أتاني سنانٌ بالوداع للمؤمنٍ فقلتُ له أني إلى الله راجعُ ومعنى ذلك أننا نذهب إلى أن الوليد كانت تعتريه فترات عبث تحت تأثير الخمر ، ثم يتوب إلى رشده ، ومن المعروف أن الإنسان تتوالى فيه حالات نفسيه وعقليه ترتفع وتهبط في انتظام كانتظام المد والجزر .

ومن الممكن أن يصوغ الوليد بل من المؤكد كان يصوغ مثل الخمرية " أدر الكأس .. " في فترات الهبوط أو في نُقط الهبوط وهو أيضاً كان يصوغها على سبيل العبث والدعابة وعلى كل حال نحنُ نميل إلى أن هذه النزعة التي بدت خمرياته لم تكن مسببه عن أزمة روحية أو دينية ، أنما كانت مسببه عن أزمة عقليه أو فكريه وهو في الوقت نفسه لم يكن يراد بها إلى الجد ولا ما يشبه الجد [1] .

كان الوليد فتىً قرشياً ثقفياً ، تتركز في نفسه تركزاً حاداً أخصُّ خصائص النفس الحسّاسة والقلب المتوقد ، كان يعبد الحياة ويلقى وجوه اللذة فيها لقاء استبشار وتهلّل وأريحيّه . وكان شاعراً قويَّ الفطرة ، جارف الطبع ، حلو النفس [2] .

بعد كل ما سمعناهُ عن الوليد يورد صاحب الأغاني قائلاً : " أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّه قال حدّثني إبراهيم بن الوليد ألحمصي قال حدثنا هرون بن الحسن العنبري قال قال الوليد بن يزيد يا بني أميه إياكم والغناء فأنه ينقُصُ الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروأه ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فأن كنتم لا بدّ فاعلين فجنبّوه النساء فأن الغناء رقيةُّ الزنا وأني لا أقول ذلك فيه على أنه أحبُّ ألي من كل لذة وأشهى أليَّ من الماء البارد إلى ذي الغلَّة ولكن الحق أحق أن يقال [3] ".

وفي مكان أخر : أنه كان أذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه ، من مطيبة ومصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويؤتى بثياب بيض نضاف من ثياب الخلافة ، فيصلي أحسن صلاة بأحسن قراءة ، وأحسن سكوت ، وسكون ، وركوع ، وسجود فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه من قبل ذلك ثم يعود إلى شربه والهوة وينهي إلا صبها في خبره بـ .. والله أعلم [4].

وأنه ليتستر في شرابه ولهوه ، ويغضب على من تسبب في معرفة ذلك عنه ، خاصةً بعد أن أصبح خليفةً ، ويقابل هذه النواحي فيه جوانب أخرى تكشف عن أتزان في معالجة الأمور وأخذ الحياة والجمع بين أطراف تذوقها .

ومع ذلك كان متسامحاً ، بعيداً عن التعصب المسرف [5] . وقد كان الوليد صاحب لهو وصيد وشراب ولذات فلما وليّ الأمر جعل يكره المواضع التي يراه الناس فيها [6] .

من كل ما تقدم نفهم أن الوليد عاش حياة ترف ولهو قبل وأثناء خلافته وأراد أن يعطي لكل ذي حق حقه فكأنه سار على طريقين الأول : أنه لما تفتحت أليه خزائن الدولة أراد أن يملأ جوفه خمراً وينهل من ملذات الحياة ما يكفي لإثارة أعدائه وهو الذي حُرِمَ منها أو لقي المضايقات بسببها ، وليعطي شبابه الحرية في

---

[1] المصدر نفسه ، ص332 - 333
[2] تاريخ الشعر والشعراء ، ص296 - 297
[3] الأغاني ، 6 / 134 - 135
[4] المصدر نفسه 6 / 141
[5] تاريخ الشعر والشعراء ص297 .
[6] العقد الفريد ، 4 / 462

تناول لذات الحياة وحلاوتها . والثاني : أنه لماّ ولّي الخلافة أخذ ينظر إلى مركزه الجديد وما يمليه عليه هذا المركز المرموق وهو أمير المؤمنين من أن يتصف بالخلق الكريم والعادات الطيبة فكان يختلس اللذة اختلاسا فصار يوصي الناس ويحذرهم مغبُة شرب الخمر وأصبح ناصحاً لهم فتراه يقف أمام الناس مصلياً متناسياً اللهو والعربدة حسب ما تقتضيه الضرورة وحاجات الناس والخلافة فأنه أراد التوفيق بينهما ونفسه ولكنه لم يوفق لذلك لان تهالكه على الخمره يرضي نفسه ويغيض الناس وبحقد السياسة عليه فأراد أعداؤه بأية وسيله الإجهاز عليه والتخلص منه .

ومع ما تقدم " فأنه بدأ حياته السياسية بأعمال حسنه كالاهتمام بالمرضى والعميان ، وإعطاء كل واحد منهم خادماً يرافقه وكزيادة العطاء الأهل الشام وغير ذلك فأن هذا كله لم يفْدهُ أمام حقد السياسة والتنافس على الخلافة واستحكام العصبية ، فشنّ خصومه الدعاية عليه ، والأمر الايجابي في حياة الوليد كلها هو الشعر وعدم وجود ديوان كامل له غير مقطعات تبلغ المائة أو تزيد . ولا شك أن من المؤكد أن عدداً كبيراً من أشعاره قد ضاع أو أُخفي لدوافع سياسية ، كما أنه من المحتمل أن يكون بعض ما وصل ألينا من شعره موضوعاً على لسانه من قبل خصومه لنفس الدوافع [1] " .

الفصل الثاني

شعرُهُ الخمري

يذكر الاصبهاني في أغانيه قائلاً : " أخبرنا" أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شنّه قال حدثنا اسحق بن إبراهيم قال حدثني مروان ابن أبي حفصة قال دخلتُ على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد ابن يزيد فذهبتُ أتزحزح فقال إن أمير المؤمنين لا ينكر ما تقول فقل قلتُ كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس فقال أتروى من شعره شيئاً قلتُ نعم ..... قال فأمر الرشيد بكتابه شعر " ليت هشاماً عاش حتى يرى.... الخ الأبيات " . وللوليد أشعار جياد فوق هذا الشعر الذي أختاره مروان فمنها ما هو برزّ فيه وجوّده فتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله في صفه الخمر أنشدنيه الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فَهَم قال أنشدني عمر بن شبه قال أنشدني أبو غسان محمد بن يحيى وغيره للوليد قال كان أبو غسان يكاد يرقص إذا أنشدها :

أصدع نجيّ الهموم بالطرب وأنعَم على الدهر بابنة العنبِ

ويمضي الاصبهاني في عرضه لشاعرية الوليد وإخباره الشعرية قائلاً : وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعارٌ كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها وأبو نؤاس خاصةً فانه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضع منه ولولا كراهة التطويل لذكرتها ههنا على أنها تنبئ عن نفسها وله أبيات أنشدنيها الحسن بن علي وهي قصيدة "أصدع" وهذه من بديع الكلام ونادرة وقد جوّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم وقد نقلها أبو نؤاس والحسين بن الضحّاك في أشعارهما [2] .

وهناك أبيات رائعة أعجبَ بها المأمون وهي :

سقيت أبا كامل من الأصغر البابلي
وسقيتها معبداً وكلَّ فتىً بازلِ
ليَ المحضُ من ودّهم ويغمرهم نائلي

---

[1] الديوان ، ص9 - 10
[2] الأغاني ، 6 / 109 - 110

فما لا مني فيهم سوى حاسدٌ جاهـــلِ [1]

على أني وجدتُ ثلاثة أبيات في كتاب مروج الذهب لم أجدها ، لا في الديوان ولا في كتاب الأغـــاني حيث يقول المسعودي [2] .

من قوله ــ أي الوليد ــ في الشراب : ومن مليح قوله في الشراب من أبيات :

وصفراءَ في الكأسِ كالزَّعفران
سباها لنا التُّجْرُ من عسقلان
تريكَ القداةَ وعرض الإناءِ
سترٌ لها دون مسّ البنانِ
لها حببنُ كلما صُفِّقَت
تراها كلمعةِ برقٍ يماني

وقوله من المنسرح [3] :

أصدَعْ نجيَّ الهموم بالطربِ وأنعم على الدهر بابنةَ العنبِ
وأستقبلِ العيشَ في غضارتهِ لا تقفُ منها أثارَ معتَقَبِ
من قهوةٍ زانها تقادُمُهـــــا فهي عجوزٌ تعلو على الحقبِ
أشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاةِ الكريمةِ النسبِ
فقد تجلّت ورقّ جوهرهـــا حتى تبدّت في منظرٍ عَجَبِ
فهي بغير المزاجِ من شررٍ وهي لدى المزج سائلُ الذهبِ
كأنها في زجاجها قَبَـــسٌ تزهو ضياءً في عين مرتَقبِ
من فتيةٍ من بني أميةَ أهلِ المجدِ والمأثراتِ والحَسَبِ
ما في الورى مثلُهم ولا بهم مثلي ولا مُنْتَمٍ بمثلِ أبي

وقولهُ [4] :

اسقني يا يزيدُ بالقرقارهْ قد طربنا وحنّتِ الزُّمّارهْ
اسقني اسقني فأن ذنوبي قد أطاحت فمالها كفّارَهْ

وقولهُ [5] :

أدرِ الكأسَ يميناً لا تدرها ليسارِ
أسقِ هذا ثم هذا صاحبَ العودِ النضارِ
من كميتٍ عتّقوها منذُ دهرٍ في جرارِ
ختموها بالأفاويه وكافورٍ وقارِ
فلقد أيقنتُ أني غير مبعوثٍ لنارِ
سأروض الناسَ حتى يركبوا أيرَ الحمارِ
وذروا من يطلبُ الجنة يسعى لتبارِ

---

[1] المصدر السابق 6 / 119 والديوان ص60 وهي برقم (76) في الديوان .
[2] مروج ، 3 / 214 - 215
[3] الديوان ص22 وهي برقم (8) والأغاني 6 / 110
[4] الديوان ص40 وهي برقم (45)
[5] الديوان ص41 - 42 وهي برقم (49) رمل مجزوء والأغاني 6 / 123

وقوله أيضاً [1] :

اسقني يا زيدُ صرفاً اسقني بالطّرجهارَهْ
إسقنيها مَرَّةَ يأ خُذُني منها أستداره
أسقنيها كي تسلّي ما بقلبي من حرارهّ

ومن الهزج قولهُ [2] :

وزقّ وافر الجنينِ مثل الجملِ البازلِ
به رحتُ إلى صحبي وندماني أبي كاملِ
شربناهُ وقد تبنا بأعلى الدير بالساحلِ
ولم نقبل من الواشي قبول الجاهلِ الخاطلِ

وهذه المقطوعة [3] :

إنَّ كأس العجوز كأسُ رواءٍ
ليسَ كأسً ككأْسِ أمَّ حكيمِ
أنها تشرب الرَّساطونَ صرفاً
في أناءٍ من الزجاج عظيمِ
لَوْبِهِ يشربُ البعيرُ أو الـــ ...
فيلُ لظلاّ في سُكْرَةٍ وغُمُومِ
وَلَدَتْهُ سكرى فلم تُحْسنِ
الطلقَ فوافى لذاك غَيْرَ حكيمِ

ومن قوله [4] :

عللاّني بعاتقات الكرومِ
واسقياني بكأْس أمّ حكيمِ
أنها تشرب المدامةَ صرفاً
في أناءٍ من الزجاجِ عظيمِ
جنبوني أذاةَ كلّ لئيمٍ
أنّه ما علمتُ شرٌ نديمِ
ثمّ أنْ كان في الندامى كريمٌ
فأذ بقوهُ بعضَ مسّ النعيمِ

وقولهُ [5] :

حبّذا ليلتي بديرِ بونّا حيثُ نُسقى شَرابَنا ونُغَنّى
كيف ما دارت الزّجاجةُ درنا يحسبُ الجاهلون أنّا جُنينّا
ومررنا بنسوةٍ عَطراتٍ وغناءٍ وقهوةٍ فنزلنا

---

[1] الديوان ص42 وهي برقم (50) رمل مجزوء
[2] الديوان ص60 وهي برقم (76) والأغاني 6 / 119 ، 145
[3] الديوان ص65 وهي برقم (85) خفيف
[4] الديوان ص66 وهي برقم (87) خفيف
[5] الديوان ص69 وهي برقم (62) ومعجم البلدان ، لياقوت الحموي جـ2 / 649

وجعلنا خليفةَ الله فطروسَ مجوناً والمستشار يُحَنَّا
فأخذنا قُربانهم حيث يقولون إذا خُبِّروا بما قد فعلنا

وقوله من الرمل المجزوء [1] :

عللاني واسقياني من شرابٍ أصبهاني
من شراب الشيخ كسرى أو شراب القيرواني
إنَّ في الكأس لمسكاً أو بكفّي منْ سقاني
أو لقد غودر فيها حين صُبَّت في الدنانِ
كلّلاني توّجاني وبشعري غنيّاني
أطلقاني بوثاقي وأشدُواني بعناني
أنما الكأسُ ربيعٌ يتعاطى بالبنانِ
وحميّا الكأسُ دبّت بين رجلي ولساني

وله أبيات خمرية قالها ضمن مقطوعات في الغزل أو في غيره منها :

خالطَ الراحَ بمسكٍ خالصٍ غيرِ مشوب [2]

وله : قد تمنى معشرٌ أذ طربوا من عَقَار وسوامٍ وذهب [3]

وله : عنده راحٌ وأبريقٌ وكأسٌ بالفلاةِ [4]

وله : فما صهباءُ لم تكسَ قذىً من خمرش بيروتِ
ثوت في الدنّ أعواماً ختيماً عند حانوتِ [5]

وله : أنني أشتهي السماع وشرب الكأس والعضَّ للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفاره يسعى ألَيَّ بالأقداحِ [6]

وقوله :

نشربها صرفاً وممزوجةً بالسُّخنِ أحياناً وبالفاترِ [7]

وقوله :

طاب يومي ولذّ سرب ألسلافه أذ أتانا نعيُ من بالرصافه
فاصطحبنا بخمر عانةَ صرفاً ولهونا بقينهٍ عزافَهْ [8]

وقوله :

دعوا لي سليمى والطلاء وقينهً وكأساً ألا حسبي بذلك مالا [9]

---

[1] الديوان ص70 - 71 وهي برقم (95)
[2] الديوان ص22 - 23 ، الأغاني 6 / 127 وهو من القطعة رقم (9) في الديوان
[3] الديوان ص53 وهي من القطعة رقم (11) والأغاني 6 / 121
[4] الديوان ص25 وهي من القطعة رقم (14) رمل مجزوء والأغاني 6 / 136 - 137
[5] الديوان ص27 وهي برقم (18) هزج والأغاني 6 / 120
[6] الديوان ص29 وهي برقم (22) خفيف والأغاني 6 / 112
[7] الديوان ص39 وهي برقم (43) سريع والأغاني 6 / 102 والكامل 5 / 198
[8] الديوان ص49 وهي برقم (60) خفيف
[9] الديوان ص53 وهي برقم (66) طويل والأغاني 6 / 139

تأثّـــرُهُ بمـــن سبَقَـــهُ

لقد دَرَسَ الوليدُ الشعرَ الجاهلي كما عرفنا على يد معلمه عبد الصمد بن عبد الأعلى وكان لـــه الأثـــر الكبير في أخراجه على الصورة التي عرفناه بها من حب الخمره والقول فيها شعراً رائعاً ضاع أغلبه وأختلط مع شعر غيره من الشعراء لتشابه النَفَس الشعري بينهم وبينه. ومع هذا كله فأنه حسبما يذكر صاحب الأغاني يحبّذ شعر عدي بن زيد العبادي وخاصة القصيدة الخمرية [1].

ثمَّ ثاروا إلى الصبوحِ فقامت
قينه في يمينها إبريقُ
قدّمتْهُ على عقارٍ كعين الديكِ
صفى سلافها الراووقُ
ثمَّ فضّ الختام عن صاحب الدنّ
وقامت لدى اليهودي سوقُ
فسباها منه أشمُّ عزيزٌ
أريحيٌّ غذاه عيشٌ رقيقُ

وقوله عدي أيضاً :

بكر العاذلون في وضح الصبحِ
يقولون لي ألا تستفيقُ
لستُ أدري وقد جفاني خليلي
أعدوٌ يلومني أَم صديقُ

فهذا التكرار الذي يبدو على أخبار الوليد وحبه لشعر عدي يأخذ أثراً بعيداً في نفســية الوليــد وحبــه لطريقة عدي فالإنسان الذي يتغنىّ بالخمر دون شربها وهو شاعر فلا يأتي شعره رائعاً أذا لــم يعــش جــوّ الخمره لذا فأن الوليد بحكم الظروف والترف والنعيم الذي يعيش فيه جعلته يسير على هَدى عدي .

على أن هناك أمرين كانا يثيران عبقرية الوليد الشعرية هما ــ الحب والخمره ــ ولقد أبــدع الوليــد بوصف الخمر والتغنيّ بها . فكأنّهُ هذّبَ وأكمل طريقة عدي بن زيد ألعبادي في وصف الخمر ونقلها للأجيال التالية . وأن الوليد أقتفى أثر عدي وسار على منهجه في وصف الخمر [2].

أن نظرةٌ فاحصةٌ يلقيها الباحث على شعر عدي تكشف له بوضوح غنى شعره الخمري وتنوع ألوانه وتدل على سبقه في كثير من الصورة والأساليب ، مما يحملنا على الاعتقاد أن عدياً هو الشاعر الجاهل الأول الذي فتح باب القول في الخمر على مصر عيه ومهّد الطريق أمامَ من تلاهُ من شعراء الخمر فــي الجاهليــة والإسلام كالأعشى والأخطل والوليد بن يزيد وأبي نؤاس ، وأية ذلك أنه أفرد للخمر عــدداً مــن القصــائد والمقطعات وجعل منها غرضاً مستقلاً بذاته تُقصَد له القصيدة فلا يشركْهُ غرض أخر ألا أذا أتصل بــالخمر بسبب من الأسباب . وما وصلنا من شعره الخمري على قلّته ، كافٍ للدلالة على استقلال هذا افن في شــعر

[1] الأغاني 6 / 123
[2] الديوان ص11

عدي عن غيره من الأغراض ، وعلى أن الركائز والأسس التي أنطلق منها شعراء الخمر من بعـــده وبنـــوا عليها منهم قد سبق أليها عدي وأن من تلاهُ قد أخذ عنه الكثير في الشكل والمضمون جميعاً [1] .

لقد وسّع عدي دائرة الحديث عن الخمر فوقف عند لونها وصفاتها وتعتيقها ورائحتها ومزجها وطعمها وفقاقيعها ووصف كوبها وزجاجتها وأباريقها ومصافيها وبيت خمّارها وصور مجالسها فهو حينما يقول :

قد سقيتُ الشمول في دارِ بشرٍ
قهوةً مرّةً بماءٍ سخينٍ [2]

فهذا يشابه قول الوليد :

نشربها صرفاً وممزوجةً بالسُّخن أحياناً وبالفاترِ

وكذلك وصفه للكأس والخمره كقوله من الخفيف :

علّلاني بعاتقاتِ الكُرومِ واسقياني بكأسِ أُمَّ حكيمِ
إنها تشربُ المُداقةَ صرفاً في أناءٍ من الزجاجِ عظيمِ
جنّبوني أذاةَ كل لئيمِ أنّه ما علمتُ شرٌّ نديمِ
ثمَّ أن كان في الندامى كريمٌ فأذيقوهُ بعضَ مسّ النعيمِ [3]

وقولهُ أيضاً :

سقيتُ أبا كاملٍ من الأصغرِ البابلي
وسقّيتُها مَعْبَداً وكلَّ فتىً فاضلِ [4]

ومنه :

وزقٍّ وافرِ الجبَيْنِ مثلِ الجملِ البازلِ
به رحتُ الى صحبي وندماني أَبي كاملِ
شربناهُ وقد بتنا بأعلى الدَّيرِ بالساحلِ
ولم نقبل من الواشي قبولَ الجاهلِ الخاطلِ [5]

إن الوليد تأثر بأسلوب عدي بن زيد العبادي في خمرياته كالصور الحضارية التي لا تخلو من البداوة، ويؤيّد هذا الذي ذهبنا أليه ما يرويه أبو الفرج من أن الوليد بن يزيد شاعر الخمر الأول في العصر الإسلامي كان على صله بشعر عدي بن زيد من نديمه القاسم بن الطويل العبادي والقاسم بن طويل هذا نصراني مـــن الحيرة وكان أديباً ظريفاً شاعراً يشاطر الوليد شرابه ولهوه حتى أن الوليد كان لا يصبر عنه فـــلا يبعـــد أن يكون هو الذي وجّه الوليد إلى فن عدي الخمري ليحذو حذوه ويجري على أسلوبه ومن ثم تســـرّبت ألحـــان عدي وأنغامه وصوره وألوانه إلى الوليد ثم إلى مَن جاء بعده من شعراء الخمر [6] .

أذن فالوليد هو السلسلة الوسطى التي تربط بين الجاهلية والعصر العباسي وكان حلقـــة وصـــل كمـــا أسلفت بين الحلقتين فهو أخذ عن عدي وغيره وطوّر شعره وجعله يلائم عصره وهكذا نقل عنه أبـــو نـــؤاس لتكتمل الحلقة الشعرية عندهم .

---

[1] (عدي بن زيد العبادي الشاعر المبتكر) الطبعة الأولى 1387 هـ - 1967 م نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب ، ص180 وسوف أشير أليه في الإحالات القادمة بـ (عدي بن زيد) فقط
[2] المصدر نفسه ص181 ، 191
[3] الديوان ص66 وهي برقم (87) خفيف
[4] الديوان ص60 وهي برقم (76) والأغاني 6 / 119
[5] الديوان ص58 وهي برقم (72) والأغاني 6 / 145
[6] عدي بن زيد ، ص197

منزلتـــُهُ الشعريّـــَة

هناك طائفتان من شعراء الخمر واحدة تنظم على نحو ما ينظم الجاهلون وشعرها يظلّ جاهلياً بروحه وشكله منهم الأخطل والقطامي وهؤلاء كلهم نصارى أباحَ لهم الإسلام أن يعربوا عن عواطفهم في الخمر وأن يقولوا ما تجيش به نفوسهم عنها بغير حرج على أننا نراهم يظلون مقلدين للشعراء الجاهليين ولا يتحـــررون رغم ما تورثه الخمر لأهلها من الحرية ولم يشتهر هؤلاء لقولهم في الخمر ولكنهم شهرَهُم قولهم في المـــديح والهجاء والسياسة والطائفة الأخرى نستطيع أن نسمي شعراءَها شعراء الخمر الإسلاميين وشعراء هذه الطائفة لم يشتهروا بمديحهم ولا بهجائهم ولكنهم شهروا بخمرياتهم ومن هؤلاء أبو الهندي وألأقيشر وعمار ذو كنـــاز والوليد بن يزيد ويتميز شعراء هذه الطائفة بسيرة شاذّة عن المألوف وتزعزع في العقيـــدة أو فســـاد فيهـــا . وأطراح لعادات المجتمع وتقاليده وتطرّح في المواخير والحانات ومجاهرة بما يأباهُ المجتمع ويتماشى منه ذوو الحشمة من الناس ثم إعلان عن ذلك بقول صريح لا يعرف الكناية ولا التستّر وهذه الصفات نكاد نلمسها في كل عاكف على الخمر مدمنٍ لها وهي التي رأى فيها خصوم الخمر معاول هدامة لحياة المجتمع الأخلاقيـــة و الاجتماعية ورآها أنصار الخمر تحمل في طيّاتها عوامل التجديد لما فيها من حرّية فكرية وأطّـــراح للقـــديم وتقاليده ومن أجل هذا تألَّتَ أولئك على الخمر وتعصبوا عليها وناصرها هؤلاء وتعصبوا لها وننظر إلى حياة هؤلاء الشعراء فنراهم عاشوا عيشة شذوذ وماتوا ميتةَ شذوذ ، وأما الوليد بن يزيد فلقد كان مـــنهم وأخلاقُـــهُ كأخلاقهم [1] .

وفي رأينا تصوّر رائع ورأي فاخر يدل على سعة الاطلاع أن سبب هذا الشذوذ والتهالك على الخمره والجهر بها هو الاضطراب السياسي نتيجةً لتولية ولاة ضعفاء وخلفاء كذلك وهم أنفسهم أولعوا بالشرب واللهو والمجون فلم يتحرّجوا من التهتك والشرب والمنادمة لان الظروف تسمح لهم إضافةً إلى نفـــوذهم السياســـي وانصياع الناس أليهم وخوف العامة منهم ، لان الخمر كان قد شربها الناس من أمثال هؤلاء منذ أقدم العصور ولكن هؤلاء ــ بتوفر الظروف لهم ــ أساؤا التصرف عند شرب الخمره وراحوا يستلّون صياح الناس عليهم بالقوّة نتيجةً لتسكّعهم في حانات الخمر وأماكن اللهو .

يقول صاحب تطور الخمريات : ولكننا لا نعرف من أشعار الوليد في الخمر الاّ نحواً من سبع قطـــع صغيرة تشير إلى أن صاحبها قالها عفو الساعة ولم يجهد نفسه في تنقيح أو تكلّف أو تقليد [2] .

وتنظر إلى شعر هؤلاء فترى فيه سمواً بالفن وتعبيراً عن الإحساس النفسي ، وتجافياً عن تلك الصور البدوية التي شاعت في شعر الأخطل والقطامي والفرزدق ويظهر هذا كله واضحاً فيما وصلنا من مقطوعاتهم القصيرة المقولة عفو الساعة ، وربما قالها الشاعر وقد انتشى ودبّت الخمره في رأسه فأرســـل نفســـه علـــى سجيتها ، وننظر إلى بائية الوليد بن يزيد التي أضافها الناس إلى أبي نؤاس وكتبوها في ديوانه وهي :

أصدع نجئ الهموم بالطربِ وأنعم على الدهر بابنة العنبِ

فنرى الشاعر قد أختاره لقصيدته هذا البحر الذي فرّ بها من النثر ولم يميّزها عن الكلام المنثـــور الاّ هذه القافية الجميلة ، ونحسُّ فيها روح الشاعر كأنه يهمس إلى نديمه وينصحه بما أعتاد أن ينصح به السكارى بيضهم ، بنصحه بأن ينصرف إلى الخمر ويترك الطرب يعفّى على همومه و يهزمها ، ويحاول أن يضاعف ميل صاحبه إلى الخمر ليدفعه أليها بلهف ، يقول أنها عجوز في قدمها وكأنه يحس بثقل لفظة العجوز علـــى

[1] تطور الخمريات ، ص154 وما بعدها
[2] تطور الخمريات ص165 - 166

نفس صاحبه فيستدرك الأمر مسرعاً ليبعد هذه الصورة من خاطره فيقول ولكنها أشهى إلى الطرب من الفتاة الكريمة النسب . ثم يعكف عليها واصفاً فيصورها كما هي في خاطره ونفسه هو لا كما يراها الناس بأعينهم خمراً تترجرج بالكأس ، فيصفها باللهب قبل أن تمزج وبسائل الذهب بعد المزج [1] .

ومن هذا نفهم أن الوليد لَنْ يُطلَبَ منه التعبير عن الخمر بل كان عاشقاً لها مدمناً عليها لذلك جاءت خمرياته تعبيراً عن صدق تجربته الشعورية وحالاته النفسية من خلال الأوزان التي يستعملها وهو يعبرٌ عن واقعهِ بدقه وبلا تكلّف .

مميـــزات شعـــره

أخص ما يمتاز به الوليد أنه كان شاعراً صادقاً لا يكذّب ، ولا يميل إلى الكذب في شعره ولم يكذب ، وهو من فتيان بني آميهَ عزيز النفس ، رفيع المنزلة ، ليس في حاجه إلى أن يمدح ليكسب الحياة ، وليس في حاجه أن يهجو ليدفع عنه خصماً يكافئه وأي الشعراء كان يجرؤ على أن يهجو ولي عهد المسلمين .

كان يتخذ الشعر وسيلة عاديه لتعبير عما يجب في لهوه وجدّه وكان لا يعنيه أن يقول الناس أحسنَ أو أصاب ، وإنما كان يعنيه أن يشعر هو بأنه وصف ما في نفسه ، وترجم عواطفه ومن هنا كان شعر الوليد صادقاً ، يمثل نفسه تمثيلاً صحيحاً ولم يكن يقول الشعر الاّ وهو متأثرٌ بما يسرٌ أو يحزن وكان يقول الشعر وهو سكران ، يشرب ويطرب بما حوله . وكان الوليد يتكلم شعراً حين ينثر الناس ، كان أذا أعجبه شيء عادي وصفه شعراً ، وكان أذا أشتهى شيئاً اشتهاه شعراً ... كان الشعر كالنثر عنده ولهذا أصطنعَ من البحور أخنّها وألطفها وأقربها إلى النثر ، وأشدّها ملاءمه لحياة اللهو والدعة التي كان يحياها فقليلاً ما نجد عند الوليد هذه البحور الطوال المعقدة وإنما شعره كله هزجٌ ورسلٌ [2] . أن الوليد لم يكن يتكلف الشعر ، ولا يحرص على الإجادة فيه وإنما كان يرسله كما يرسل أنفاسه ، في سهوله ويسر فإذا هو حارٌ حيناً وفاتر حيناً وقد يصل إلى أبرد حيناً آخر [3] .

أن السهولة والعذوبة والخفة والرشاقة كل ذلك أساس في شعر الوليد خمرياته وغير خمرياته ، وهو في الحق شعر كتب ليُلَحَّن ويغنّى ومن هنا كانت أبنيتُهُ لينةً وكانت أوزانه في الغالب قصيرة ، ويستطيع من يقرن الأشعار أو الأصوات التي غُنّيَ فيها للوليد إلى أشعار عمر وأصواته وكذلك أشعار الحجازيين من ورائه أصواتهم أن يلاحظ الاشتراك هنا وهناك في الميل إلى الأوزان المجزّأة فأن تُركت فإلى الأوزان الخفيفة غالباً كالرمل والمتقارب . ولكن من غير شك أنتقل الوليد بهذا العمل نقلةً ، فهو يميل أكثر من الحجازيين إلى التحريف في الأوزان والتعديل فيها حتى تتلاءم مع الغناء الجديد والوليد من هذه الناحية يعدٌ خطوة نهائيه للعصر الأموي والتغيرات المختلفة التي حدثت في أوزان الشعر تحت تأثير الغناء ، فقد كان عازفَ عودٍ وملحْنَ أصوات ولذلك بدأت تجزئة الأوزان عنده بأوسع مما بدت عند شعراء الحجاز ومعنى ذلك أنه طوّع الشعر للغناء بأكثر مما طوّعه عمر وأقرانه من شعراء الحجاز بعامل الضرورة اليومية التي كان يعيش في أثنائها وضرورة الغناء وألحانه واستخراج كل ما يمكن من توقيعات وترنيمات فهو نفسه مغنٍّ وهو نفسه ملحّن [4] .

---

[1] المصدر نفسه ص167 - 168
[2] حديث الأربعاء ، 2 / 143 - 144
[3] المصدر نفسه ، 2 / 146
[4] التطور والتجديد ، ص338 - 339

دور الوليـــد في تطـــور شعـــر الخمـــره

مما تقدم يبدو للوليد هام في شعر الخمره فهو يعتبر وصل بين من سبقه أمثال عدي بن زيد العبـــادي وبين جاء بعده أمثال أبي نؤاس ويورد هذا الدكتور شوقي حنين قائلاً :

يظهر أن تأثير الوليد بهذا الفن فن الخمريات ، فيمن جاؤا بعده خاصةً أبا نؤاس كان واسعا جداً فهو الذي فتح لهم باب هذه المقطوعات الرشيقة ، التي كان قلماً زادت عن عشرة أبيات والتي تخـــتص بـــالخمر ووصف آلاتها وما تحدثه من نشوه وصفاً بدل على العشق والغناء فيها . فالوليد هو صاحب هذا الفـــن فـــي الشعر العربي وهو الذي عمل على أذا عته كان موجوداً قبله في شعر الشعراء ولكنه لم يكن فناً قائماً بنفسه ، وهب الشاعر شعرَهُ ، حياتهُ له على نحو ما وهبها الوليد لان الحياة العربية كانت قاسية بعض القسوة وخاصة في العصر الجاهلي فلم تتح للشعراء الفرصة أن يعيشوا للخمر وحدها على نحو ما عاشها الوليد . و أظننـــا الآن تتضح في أنفسنا فكرة التخصص التي أشرنا أليها مراراً في النقال حول مكانه الوليد ومنزلته الشعرية ، فالشعراء يمتازون في هذا العصر ، كاد كل منهم أن يتخصص بفن من الفنون ولا يتعدوه وهو ضـــرب مـــن النمو والتطور العقلي الذي أصاب الأمة العربية فالشاعر يستطيع أن يعيش في فن واحد ، يقوم عليه كما يقوم أصحاب الآراء والمعتقدات من قَدَريّه وغير قَدريةً على مذاهبهم لا يتحوّلون عنها وهو لا يكتفي بذلك ، بـــل يحاول أن يرتقي بالفن من الفنون الذي يتخصص فيه . والوليد في هذه النزعة التي بدت في خمرياته أســـتاذ أبي نؤاس ومن لفّ لفّه وربما اتضح هذا عند أبي نؤاس أكثر مما يتضح عند الوليد . لا لسبب إلا لان شـــعر الوليد فُقِدَ ولم يبقَ منه إلا هذه المقطوعات القليلة المبثوثة في الأغاني وغيره من كتب الأدب ... ومع ذلـــك فهذه المقطوعات القليلة نفسها تدل دلله قاطعه على ما نزعمه من أن الوليد هو الذي ســـنّ للعباســـيين ســـنن الخمرية بكل ما يسميها من عشق للخمر وعبادتها وكل ما يتجلّى فيها نزعه الشك أو العبث ، وكان العباسيون أنفسهم يؤمنون بذلك [1] .

على أني وجدتُّ في ديوان أبي نؤاس ثلاثة أبيات فيها بعض الشبه بأبيات الوليد وخاصة البيت

" تنزو إذا الماءُ تراءى لها رُمى بالشَّرَرِ الكيرُ [2] "

فهذه الصورة مأخوذة من البيت المذكور في القطعة رقم (8) من ديوان الوليد والذي يقول فيه :

كأنّها في زُجاجها قَبَسٌ تزهو ضياءً في عينِ مرتقبِ [3]

كما وأن أبا نؤاس كان يعاني آلاماً مرّه ويبعثُ شعراً فيه شكوا إذ أن ظروفه قد تكون مشـــابه بعـــض الشيء لظروف الوليد بن يزيد وهذه الآلام والعواطف المكبوتة الشعوري منها واللاشعوري ، هي التي كانت تدفع بالشاعر إلى أن يعبٌ من الخمره ويغرق في لّجَها أوصابه وأسقامه ، والقارئ لإشعار أبي نـــؤاس فـــي الخمر يوقن بأن تعاطيها كان يهئ الجو الملائم لظروفه الشخصية تمام الملائمة ، فانه فضلاً عـــن الســـلوى والنسيان والنشوة التي يشعر بها شاربها ، تجمعه بسقاتها من الغلمان ، وهناك يتقلب في أعطاف الرذيلة مـــا أتسع له الوقت والمال [4] .

---

[1] التطور والتجديد ، ص333 - 334

[2] ديوان أبي نؤاس ، الحسن بن هاني ، حققه وضبطه وسرحه أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1372 - 1953 ص14

[3] الديوان ص22 ، الأغاني 6 / 110

[4] الشعر العربي بين الجمود والتطور ، الطبعة الرابعة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ـ القاهرة / 1969 م ص107

أذن فأن هناك تقارباً في نفسية الشاعرين بالإضافة إلى تقاربهما الزمني ويبدو أن أثر الوليد بادياً على أشعار أبي نؤاس .

والوليدُ لهذا كلّه ــ كما يقول الدكتور شوقي حنين ــ يأخذ أهمية بعيده في تاريخ الشعر العربي فقد عمل على مرونة أوزانه ومطاوعتها للغناء الجديد ، كما أعدَّ لاكتمال فن الخمريات في اللغة العربية إذ أتّخذ الخمر فلسفةً لهو وتغنّى بها غناءَ المحبّين ، وليس ذلك فحسب ، فقد أخرج شعره بلغة شعبية مألوفة وأكبر الظن أن عمله في الشعر العربي قد أتضح لنا فهو شاعر مجدّد من ذوق حديث يتفق والحضارة التي نُشّئ فيها والترف الذي نبته فيه ، بل قل أنه ضريبة هذا الترف ، فقد تحوّل يتغنى بالخمر والحب ، وحاول أن يحدد بكل ما يستطيع في أوزان الشعر وأنغامه [1] .

الخاتمـــة

بعد هذه الجولة في رياض الكتب التي توفرت لديّ حول الوليد بن يزيد الأموي عرفت أنه شاعر مبدع مجدّد أخر من القدماء الذين سبقوه ولاءَم الشعر وطوّعه بما يتفق وروح عصره وحياته اللاهية وإنه شاعر عاش للخمره ولم يتخذها حرفةً له بل كان يقول الشعر على هواه ، على أنني وجدتُ من خلال بحثي عن الشاعر الشاب الوليد في بطون الكتب أبياتاً قالها في الخمره وهي في كتاب مروج الذهب وأشرتُ أليه أثناء الحديث عن شعره ولم أجدها الاّ في الأغاني الذي أحتوى على معظم أخباره ولا في الديوان الذي حققه " ف غابريلي في جامعة روما " وأنّي مع كل ما تقدّم حصلتُ على فائدة كبيرة وتعرّفت على مصادر قضيتُ في رحابها ساعات طوال معتمداً على المنهج العلمي في الشك أساس اليقين ومقابلة الخبر من مصدر لأخر وإبداء رأيي في بعض الحالات مما يتوفر لديّ من معلومات واستخلصت بان :

الاضطرابات السياسية في العصر الأموي تلك التي خلقت التناحر والحساسية ودخلت أروقة القصور وتغلغلت في أوساط العائلة الأموية ، حياة الوليد مضطربة قلقه انتهت نهاية مؤلمه وهذه نهاية كل من يعيش على آلام الناس . وان دور الحاجات النفسية والجسدية في السلوك البشري هو دور المسببات الأولية فبدون الدافع يظل المرء خامداً وبهذا يتساوى الناس من هذا النوع فلا يقتصر على خليفة أو عامة الناس .

ورغم لهو وخلاعة الوليد فانه أول من حمل المغنين من البلدان وجالسهم وأسس لحياة اللهو والملذات في قصور الخلافة الأموية فقد كأن ميّالاً إلى مؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى ويتضح من ذلك دور المؤدبين (المعلمين) وأهميتهم ورعاية الخلفاء لهم .لهذا كله فان الوليد يأخذ أهمية بعيدة في تاريخ الشعر العربي وعمل على مرونة أوزانه ومطاوعتها للغناء الجديد كما عد لاكتمال فن الخمريات أذ أتخذ الخمر فلسفة له وقد أخرج شعره في لغة شعبية مألوفة .

المصـــادر والمراجـــع

1. الأصول الحضارية للشخصية . دار اليقظة ، بيروت 1964م ص32 .
2. أمالي المرتضى (غرر القوائد ودرر القلائدِ) الطبعة الثانية دار الكتاب العربي ، بيروت 1387هـ ــ 1967م الجزء الأول .
3. الأغاني . طبعة بولاق الأصلية الناشران (صلاح يوسف ، الخليل) بيروت 1970م ــ 1390هـ/ المجلد الثالث .
4. تاريخ الشعر والشعراء / الطبعة الثالثة 1387هـ ــ 1967م بيروت .

[1] التطور والتجديد ص338 وما بعدها

5. التطور والتجديد في الشعر الأموي . دار المعارف ــ مصر ــ القاهرة 1991 .
6. تطور الخمريات في الشعر العربي . الطبعة الأولى 1945م . الناشر مكتبة النهضة العربية .
7. ديوان أبي نؤاس ، دار الكتاب العربي بيروت ــ لبنان ــ 1327هـ .
8. ديوان الوليد بن يزيد . طبعة دار الكتاب الجديد بيروت 1967 . الطبعة الثالثة .
9. (عدي بن يزيد العبادي الشاعر المبتكر) الطبعة الأولى 1387هـ ــ 1967م . المكتبة العربية ــ حلب.
10. العقد الفريد . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة 1368هـ ــ 1949م .
11. الشعر العربي بين الجحود والتطور .الطبعة الرابعة دار نهضة مصر للطبع والنشر . الفجاله . القاهرة 1969م .
12. الكامل في التاريخ . دار صادر بيروت 1385هـ ــ 1965م .
13. المحاسن والمساوئ . مطبعة نهضة مصر الفجاله . القاهرة (لم أجد سنة الطبع والتأليف وهو في جزئين) .
14. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار دار الكتب . 1342هـ ــ 1924م .